بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد من قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾

هذه عشر فوائد مستنبطة من قوله جل وعلا: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]

الأولى: أنَّ السَّاحر كما أخبر الله تبارك وتعالى لا يفلح أبداً؛ وينبغي أن نعلم أن الفلاح يعني حيازة الخير في الدنيا والآخرة، فنفيُه عن الساحر نفيٌ لتحصيل الساحر للخير في دنياه وأخراه، فهو خائبٌ خاسرٌ في الدنيا والآخرة.

الثانية: أنَّ السِّحر ليس طريقةً واحدة، وإنما هو طرائق كثيرة ومدارس متنوعة وأنواعه عديدة، وقد قال الله جلَّ وعَلا في هذا السياق: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ أي: أيًّا كانت طريقته وأيًّا كان أسلوبه في السحر وأيًّا كانت مدرسته؛ فالسحر أيًّا كانت طريقته وأسلوبه ونوعه هذا مآله ومصيره أنَّ صاحبه لا يفلح إطلاقًا لا في دنياه ولا في أخراه.

الثالثة: أنَّ الساحر إذا كان أمره كما أخبر الله لا يفلح حيث أتى فإنَّ من يأتي إليه يطلب من جهته منفعةً أو صلاحًا أو فائدةً فإنَّه لا يفلح من باب أوْلى.

الرابعة: بطلان «النُّشْرة» التي هي حلٌ للسحر بسحر مثله، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سُئل عن النشرة قال: «هي من عمل الشيطان»، فحلُّ السحر بسحر مثله هذا أمرٌ لا يجوز، فيحرُم على المسلم أن يذهب إلى ساحر حتى وإن كان غرضه من الذهاب إليه أن يحُلَّ عنه سحرًا أصابه، فهو داخلٌ تحت عموم قوله تبارك وتعالى ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾، فلا يمكن أن يُنال من جهته أيّ فلاح ولو كان ذلك حلًا للسحر.

الخامسة: أنَّ الساحر إذا عُلم أنه لا يفلح -أي لا ينال خيرًا لا في الدنيا ولا في الآخرة- فإن من يأتيه حتى وإن كان غرضه حل السحر أيضًا يصيبه ما أصاب الساحر من الخيبة وعدم الفلاح؛ ولهذا فإنَّ السحرة عندما يأتيهم آتٍ ولو كان مراده حلّ سحر أصابه لا يعالجونه إلا بتقرب للشياطين، فربما عالَجوا مرضًا يسيرًا في الشَّخص وأوقعوه في بلاء عظيمٍ وهو الكفر بالله، والوقوع في الشرك بالله، والتعلق بالشياطين والتقرب لهم، إلى غير ذلك.

السادسة: أن هذه الآية تُقوِّي في قلب المؤمن التوكّل على الله والثقة به سُبحانه وتعالى؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أخبرَ أنَّ السَّاحر لا يفلح، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢]، فهذا يقوِّي في العبد التوكل على الله، والثقة بالله سبحانه وتعالى، وعدم التفات القلب إلى السحرة وأعوانهم خوفًا منهم أو نحو ذلك، بل يكون على ثقة بربه وتوكل على مولاه جل وعلا، يزداد إيمانًا، وثقةً بالله، وتوكلًا عليه وحده تبارك وتعالى، إيمانًا بأنه لا يمكن أن يضره شيء إلا بإذن الله تبارك وتعالى؛ فهو إليه وحده يلجأ، وعليه وحده يتوكل، وبه وحده يستعين.

السابعة: أنَّ الفلاح والعلو إنما هو لأهل الإيمان؛ وقد مر في هذا السياق أن السحرة قالوا: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٤]، فأبى الله جلَّ في علاه أن يكون الفلاح إلا لأهل الإيمان، ولهذا قال جل وعلا في هذا السياق ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، بعد أن أمر نبيه ورسوله موسى عليه السلام أن يُلقي تلك العصا الصغيرة في يده في مجابهة ركام السحر الكثير ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه:٦٩].

الثامنة: أن هذا الحكم الذي ذكره الله جل وعلا في هذه الآية ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ حكمٌ يتناول كلَّ ساحر في كل زمان؛ وهذا نعلمه من طريقة القرآن، فالسياق كان عن سحرة معيَّنين نازلوا موسى عليه السلام فلم يقل ولا يفلح هؤلاء السحرة، وإنما قال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾. فطريقة القرآن إذا كان الحكم لا يختص بالمعيَّن الذي جاء السياق لإبطال ما هو عليه وإنما يتناول كل من كان على صفته يأتي الحكم عامًا كما هو في هذه الآية قال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، فالساحر هنا أي: كل ساحر في أي زمان أو مكان، فـ «الـ» للجنس.

التاسعة: أهمية دراسة سيَر الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه؛ وأنها سيَرٌ حافلةٌ بالعبَر والعظات والدروس البالغات، وفيها تقويةٌ للإيمان، وربطٌ لجأش المؤمن، وتقويةٌ لصلته بربه وتوكله عليه؛ فمن يقرأ هذه القصص ونظائرها وأمثالها في كتاب الله والتي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه

يجد فيها العبر والعظات والدروس البالغات، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

العاشرة: في هذه الآية شاهدٌ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، وقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، فموسى في ذلك الموقف كان أمامه من عتاولة السحرة ما يقربون من الثلاثين ألف أو أكثر أو أقل كما ذكر ذلك أهل التفسير، وجميع ما جاءوا به من سحر وجمعوه من كيد ووقوفهم صفًا واحدًا ضد موسى عليه السلام كل هذا الركام أبطله الله ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس:٨١]؛ أبطله الله وكان مآلهم الخيبة والخسران وعدم الفلاح.

التحذير من السحر

اعلم -رحمك الله- أن أثمن شيء وأغلى ما تملكه هو دينك.

من كلِّ شيء إذا ضيّعته عوضٌ ... وما منَ الله إن ضيعتَ من عوض

كلُّ شيء يضيعه الإنسان له عوض عنه إلا دينه فإنَّ الدِّين إذا ضاع، ضاع معه كل شيء وخسر العبد دنياه وأخراه.

وفي خضمِّ جهل كثير من الناس بالدين و مكانته العظيمة و منزلته العليَّة وآثاره على العبد المؤمن في الدنيا والآخرة استهانوا بأمر دينهم وباعُوه بأرخص الأثمان في فتن متلاحقة وعواصف جارفة وصواد كثيرة مؤثِّرة جرَفت كثيراً من الناس وخلخلت أديانهم وأضعفت إيمانهم.

وإنَّ من الأمور الخطيرة التي كثرت في هذه الأزمان، ووجدت بين الناس رواجاً بسبب ضعف الدِّين وقلّة الإيمان: تسلّط السحرة وأهل السحر -والعياذ بالله- على الناس، من خلال مجالات كثيرة وقنوات عديدة وسبل متعددة، استغلوا ضعف الناس في دينهم، واستغلوا أيضا ما يوجد في بعض الناس من حسد أو هلع، وما يوجد كذلك في آخرين من رقة في الدين وضعف في الإيمان وجهل بالعقيدة، واستغلوا أيضا وجود قنوات اتصال كثيرة

فوائد

من قوله تعالى:

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾

ويليه

التحذير من السحر

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

سَهَّلَت التواصل ويسّرت الاتصال، فأصبح الساحر الذي يعيش في أوغال بعيدة وفي ديار نائية يتواصل مع كثير من الناس تواصلاً سريعاً من خلال الهواتف والجوّالات ومن خلال القنوات الفضائية ومن خلال الشبكة العنكبوتية بطرق ماكرة وسبل خفية ودهاء مستمر، مما يدعو جميع المؤمنين إلى عودة صادقة وحفظ ومحافظة على دين الله تبارك وتعالى من أن يضيع على أيدي هؤلاء الآثمين ومن أن يذهب على أيدي هؤلاء المجرمين.

وهؤلاء المجرمون يستغلون الجهل بالدين، والحاجة في كثير من الناس من وجود بعض البلايا والأمراض، و يدّعون أن عندهم حلاً و مخرجاً، و من هنا يتسلطون على كثير من الناس.

نعم عندهم حلٌّ و مخرج! و لكنه حلّ لعرى الإيمان و خروجٌ من الدِّين، وإذا كان الساحر في نفسه حكم عليه ربُّ العالمين بأنه لا يفلح أينما توجَّه وذهب وسار: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس٧٧] فكيف يُطلب من جهته فلاحاً أو يرجى من جهته حلا ومخرجا؟!.

إنّ السحر و تعاطيه كفرٌ بالله تبارك وتعالى، ومروق من دين الله تبارك وتعالى، وخروج من الدين، ولا يكون الساحر إلا كافراً مُشركا بالله جل وعلا، نابذاً للقرآن، متبعاً للشياطين: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة١٠٢].

فالسّحر كفرٌ بالله عزّ و جلّ، و من تعلَّم السِّحر وتعاطاه كفر بالله، ومن ذهب إلى الساحر يرجو بغيته ومُناه فإنه بذلك يحل عرى إيمانه ويخرج رويداً رويداً من دينه.

فالواجب على عباد الله المؤمنين أن يحذروا هذه الموبقة العظيمة والرزية الجسيمة وأن يجتنبوها غاية الاجتناب وقد قال نبينا المصطفى ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ...» ثم ذكر بقية الأمور السبعة [متفق عليه].

فذكر عليه الصلاة والسلام السحر في أوّل الموبقات و صدَّرها بعد الشرك بالله الذي هو أظلم الظلم و أجرم الجرم.

أيليق بمسلم - بعد هذا - أن يبيع دينه بسبب مرض ألَمَّ به أو مصيبة حلّت ونزلت به؟ أجَهِل أنَّ الحلَّ والمَخرَج في كُلّ مُشكلة نزلت وكلّ بليّة حلّت هو الرجوع إلى الله تبارك وتعالى؟

ولعلّ بعض الناس يسترْوح لنفسه ويتوهم أنَّ في الذهاب للسحرة من أجل حلِّ سحر عن مسحور أو إخراجه من مأزق وقع فيه بسبب السِّحر أن ذلك لا بأس به ولا يتنافى مع الإسلام، وهذا مفهومٌ خاطئ و قولٌ غالط ففي المسند للإمام أحمد أن النبي ﷺ سُئل عن «النُّشرة» و هي حلُّ السِّحر عن المسحور فقال: «هي من عمل الشيطان» قال ذلك عليه الصلاة والسلام محذرًا أمّة الإسلام من تعاطي السحر لأيِّ غرض من الأغراض ولأيِّ مجال من المجالات ولو كان لأجل حَلِّ سحر عن مسحور.

بل الواجب في كلِّ ملمّة ومصيبة سحر أو غيره أن يكون الرجوع إلى الله عزّ وجل فزعاً إليه ورجوعاً إليه وتوكلاً عليه سبحانه ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران١٠١]، وكان نبيُّنا عليه الصلاة والسلام يقول: «لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ». مع عناية بكتابه العظيم وتلاوة آياته و توجّه إليه تبارك وتعالى بالدّعاء مع صدق لَجأ و تمام إخلاص، والله جل وعلا يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة١٨٦].

إنّ الحلّ في كلِّ مشكلة و المخرج في كلِّ مصيبة أن نعود إلى ديننا عودة صادقة، يقول عليه الصلاة والسلام: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

نسأل الله عزّ وجلّ أن يعيذنا أجمعين من الشيطان الرجيم ومن كيد السحرة المجرمين و أن يهدينا إليه صراطا مستقيما. وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.